

الأصل في السينما الشعر لا الحكى لكن هوليوود زورت ذلك

حمادي كيروم: السينما حلم جماعي داخل مغارة أفلاطون القديمة



السينما ليست قصة فقط

الجريئة فكريا والتي تدفع بالمتلقي إلى التفكير والمناقشة وتحصنه ضد الميوعة التجارية والتسلوية الموجودة في بعض السينما والتي لا تفيد، وبحكم أننا في العالم العربي لا نملك المال الوفير لإنتاج السينما بوفرة على هذا الشكل باستثناء مصر، فإن منتجنا من السينما يجب أن يكون محققا لهذه الشرطية.

ويضيف "السينما التجارية في معظمها لا تتوافق مع النقد والفلاسفة لأنها تقدم التسلية فحسب، وعن طريقها تتكون سلطة بيد منتجها تتمثل في استلاب هؤلاء، عن طريق إيجاد ما يجعلهم تحت نير تاجيح النزاع الإنسانية البدائية عندهم. هنا ستكون سينما المؤلف هي المضادة لكل هذا. باعتبارها سينما النظر والرؤية فيصبح النظر فعلا وليس فرجة".

ويشدد على أن المشاهد يصبح شاهدا وهنا يتنشا التمنظر وهو الذي يأتي بدلا للقصّة والحدوث، فسينما المؤلف هي معاصرة اختزالية تجعل المشاهد وليس المشاهد إلى متفاعل لا يقوم على انتقال ماذا سببني بعد هذه اللقطة بل تصبح لديه الخبرة ليعرف ماذا يكون في هذه اللقطة. فننتقل من سينما الثرثرة إلى سينما الصمت بالمعنى الجمالي والفكري والتأملي وبهذا لا يمكن لسينما المؤلف أن تموت أو تختفي. لأنها علاقة بين مخرج له رؤية في العالم يريد أن يتشارك بها مع المشاهد من دون وعظ وإرشاد.

ويتابع "هناك شئ خطير بان يكون المرء متفرجا فقط، لأنها ستؤدي إلى عملية الاستيلاء على ذهن المشاهد، والتي توفر لها شركات الإنتاج الحديثة كل وسائل الإيهاب والتقنية. المعلم الجاهل هو الذي لا يعرف ما يجعله، والمشكلة في أنه لا يعرف كيف يعرف أنه لا يعرف. من هنا تصبح التربية الفنية في المؤسسات التعليمية ضرورة بالغة، فسينما المؤلف هي سينما مقاومة ومقاومة لأنها تسعى إلى تغيير العقلية وحراسة الذوق الجمالي، وهي سينما الشعب الذي سيأتي.

ويشدد على أن هذه السينما تغير أنماط الإدراك الحسي من خلال بناء علاقات مغايرة بين الواقع والخيال الظاهر والمرئي واللامرئي والحقيقة والزيف بل إنها تبحث عن الحقيقة الجمالية التي تتجاوز ثنائية الخير والشر، وهي الوحيدة التي تقدر على تبرير وجود العالم على أسس جمالية ويمكن أن تكون حاضرا للتراجيدي الجمعي لكل الناس وتجعل من كل لحظة نعيشها جدرة بالعيش والانتشاء وهي تحترم الإنسان وتحضنه.

تاركوفسكي هي تراجيديا للعالم. فهي تحثني بالإنسان، فالكينونة البشرية هي أكثر مما نراه، هي ليست سينما دينية لكنها سينما روحية، العقل وزبط الحياة البشرية وسار بها إلى الهاوية لذلك كانت سينما تاركوفسكي وتيرانس ماليك ومحمد ملص وعبدالمطيف عبدالحاميد وغيرهم، لكي تزيل عن عقولنا هذا الغبار وتعيد للحياة روحها الأصلية وما أوحنا في الشرق إلى سينما تشبهنا، بأن نذهب إلى الشرق فينا، كما فعل ينشأ عندما أراد أن يصنع انقلابا فكريا عاد إلى الشرق وإلى زرادشت. الأصل في السينما الشعر وليس الحكى، هوليوود هي التي زورت هذا التيار الفني العظيم. تاركوفسكي استطاع أن ينحت الزمن وأن يقبض على الحياة ويعرضها متى شاء".

حلم جماعي

لم تقف جهود حمادي كيروم في فن السينما عند حدود البحث والتقد، بل تجاوزها إلى برمجة العروض السينمائية وتأسيس المهرجانات، فهو من أسس مهرجان سينما المؤلف الذي يعقد في مدينة الرباط سنويا ويرى في ذلك تجربة منفردة لتكريس سينما المؤلف التي تهتم بالإنسان.

يقول كيروم "أسست عام 1995 المهرجان الدولي لسينما المؤلف بالرباط وكنت حينها رئيسا لنادي العمل السينمائي بالدار البيضاء، وكنا لا نقدم فيه إلا هذا النوع من الأفلام

يقول كيروم "أسست عام 1995 المهرجان الدولي لسينما المؤلف بالرباط وكنت حينها رئيسا لنادي العمل السينمائي بالدار البيضاء، وكنا لا نقدم فيه إلا هذا النوع من الأفلام

يقول كيروم "أسست عام 1995 المهرجان الدولي لسينما المؤلف بالرباط وكنت حينها رئيسا لنادي العمل السينمائي بالدار البيضاء، وكنا لا نقدم فيه إلا هذا النوع من الأفلام

يقول كيروم "أسست عام 1995 المهرجان الدولي لسينما المؤلف بالرباط وكنت حينها رئيسا لنادي العمل السينمائي بالدار البيضاء، وكنا لا نقدم فيه إلا هذا النوع من الأفلام

يقول كيروم "أسست عام 1995 المهرجان الدولي لسينما المؤلف بالرباط وكنت حينها رئيسا لنادي العمل السينمائي بالدار البيضاء، وكنا لا نقدم فيه إلا هذا النوع من الأفلام

يقول كيروم "أسست عام 1995 المهرجان الدولي لسينما المؤلف بالرباط وكنت حينها رئيسا لنادي العمل السينمائي بالدار البيضاء، وكنا لا نقدم فيه إلا هذا النوع من الأفلام

يقول كيروم "أسست عام 1995 المهرجان الدولي لسينما المؤلف بالرباط وكنت حينها رئيسا لنادي العمل السينمائي بالدار البيضاء، وكنا لا نقدم فيه إلا هذا النوع من الأفلام

يقول كيروم "أسست عام 1995 المهرجان الدولي لسينما المؤلف بالرباط وكنت حينها رئيسا لنادي العمل السينمائي بالدار البيضاء، وكنا لا نقدم فيه إلا هذا النوع من الأفلام

يقول كيروم "أسست عام 1995 المهرجان الدولي لسينما المؤلف بالرباط وكنت حينها رئيسا لنادي العمل السينمائي بالدار البيضاء، وكنا لا نقدم فيه إلا هذا النوع من الأفلام

يقول كيروم "أسست عام 1995 المهرجان الدولي لسينما المؤلف بالرباط وكنت حينها رئيسا لنادي العمل السينمائي بالدار البيضاء، وكنا لا نقدم فيه إلا هذا النوع من الأفلام

يقول كيروم "أسست عام 1995 المهرجان الدولي لسينما المؤلف بالرباط وكنت حينها رئيسا لنادي العمل السينمائي بالدار البيضاء، وكنا لا نقدم فيه إلا هذا النوع من الأفلام

السوفييتي المنظر اندريه تاركوفسكي، الذي يمتلك أجدية خاصة في فهم السينما، قدمها من خلال الشعرية التي عمل عليها ونظر لها في أعماله وأبحاثه. يقول كيروم في ذلك "أنا لا أكون مسرورا إلا عندما أكون أمام الله وأبنائي وتاركوفسكي، الذي ظل يحلم بسرقة مثل دوستويفسكي، استطاع أن يطوع الواقع بأسلوبه الشعري والذي جعله يحفر الوجود للانفتاح، فأفلامه لا يمكن أن نفهمها لأنه لا يطلب منا الفهم، ولكنه يطلب منا النظر أو التمنظر أو استعمال الحواس للتمعن برؤية الواقع من زاوية مختلفة هي الزاوية الشعرية. وكثير من الناس فهموا لغة الشعر عنده بشكل خاطئ. فقد قال: المصنوع بالشعر في أفلامي ليس الجنس الأدبي إنما الرؤية الشعرية للعالم".

ويضيف الناقد المغربي "هي طريقة خاصة لمقاربة الواقع وتصبح أحيانا فلسفة توجه حياة الإنسان إلى آخر أيامه. تملأ الإنسان بشحنة عاطفية تتجاوز المنطق الخطي للحياة وتعطيها بعدا شعريا عميقا، فأفلامه لا تفهم بالمنطق السردى والحكاوي بل بمفهوم المنطق الشعري، وهو يكره البلاغة والمحسنات الصورية ويقول إن الواقع بلغ بحد ذاته، وينبغي فقط أن ندقق رؤيتنا إليه وننظر إليه من زوايا مختلفة".

ويلفت كيروم إلى أن الفيلسوف الهولندي باروخ سبينوزا صاحب كتاب الأخلاق يقول "لا ينبغي أن ننحت عن الله في السماء والأرض أو في أي مكان آخر، لأن الله هنا والآن ولا ينبغي أن ننحت عن الإيمان لأنه شق وشرك، لأن الله موجود قبل الإيمان". ويقر بان هذا الإحساس الديني والفلسفي بالعالم هو ما يحاول أن يقدمه تاركوفسكي في أعماله. مشيرا إلى أن عبقرية كانت في تطويع رؤيته السينمائية لتعمل كل هذا.

فبعد متابعتنا مثلا لأول جزء من فيلم القران الذي يمتد على تسع دقائق تقريبا نجد أنه خالف نظرية معلمه في المونتاج إيزنشتين وهي التي تعطي للمونتاج ملوكيته، فتركها وخلق مونتاجا مختلفا تماما لأنه وجد أنه يتعامل مع السينما بشكل خارجي وأنه يقطع الزمن ولا يأخذ من الحياة إلا أشكالها الخارجي وقال إن الحياة هي ديمومة مستمرة، واكتشف نظرية هامة جدا في ذلك وأن النظرة إلى الحياة فيها ديمومة ووصل إلى المونتاج الأركيولوجي، لأن الحياة مؤلفة من منابع زمنية فكانت صورته غير مملدة كما تعرفها العامة لكنها متمهلة وهو زمن الديمومة في الحياة.

ويقول كيروم "أسست عام 1995 المهرجان الدولي لسينما المؤلف بالرباط وكنت حينها رئيسا لنادي العمل السينمائي بالدار البيضاء، وكنا لا نقدم فيه إلا هذا النوع من الأفلام

ضرورية لأن مهمة السينما والفنون بشكل عام هي أن تخلق شعبا سوف يأتي. فالن يجب أن يفكر بهذه الطريقة وهذا الفن الذي يخاطب الشباب يجب ألا يعلمهم ماذا عندها نحن كبار السن بل أن يعلمهم ماذا سيكونون وماذا سيأتي، فالسينما هي التي تخلق هذا المشترك الحسي الذي يتعاطى مع الواقع السياسي والاجتماعي وغيره".

الأصل هو الشعر

عن العلاقة التي تربط بين المؤلف الروائي والسينمائي يرى حمادي كيروم أن الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز سبق وأن طرح سؤالاً كبيراً في الثمانينات عن أزمة الفلسفة وأزمة السينما، وتطرق إلى ظاهرة غريبة. وهي كيف اقتبس كيروساوا الياباني أعمال دوستويفسكي وشكسبير وما الذي يجمع بين ياباني وسوفييتي أو إنجليزي قديم. والجواب كان واحداً. وهو أن كيروساوا وجد عند دوستويفسكي وشكسبير فكرة سينمائية، كتلة حركية زمنية دائمة كما يسميها هو.

ويتابع "عندما اشتغلت على بداية ونهاية عند نجيب محفوظ وصالح أبو سيف وجد أن أبو سيف وجد عند محفوظ هذه الكتلة الحركية، الديمومة أو الفكرة السينمائية. وأوجد لها موازيات بصرية وزمنية وصورية وتجاوزها أحيانا، حين عرضها على ملايين من الناس من خلال السينما. فالعمل فيه الواقعية الاشتراكية وكذلك الواقعية الجديدة الإيطالية والموجة الفرنسية الجديدة، الفيلم يحتوي على النظرية السينمائية التي من دونها سيكون فيلما ضعيفا. لذلك كان الفيلم قويا وربما أكثر من قوة الرواية ذاتها".

تربط حمادي كيروم علاقة روحية خاصة بالمخرج السينمائي الذي يتجاوز ما يكتسب من الرواية التي صنعتها الصورة وهي السينما في الحقيقة.

وعن كتابه الشهير الاقتباس بين المحكي الروائي والمحكي الفيلمي يضيف حمادي كيروم "أردت من خلال تأليف هذا الكتاب لفت النظر إلى الطريقة التي نتحدث بها في العالم العربي عن السينما. فبعد زمن طويل قضيته في السينما كتابة ونقدا وأحيانا إخراجا وجدت أن معظم ما يكتب هو عن السينما ويكون خارجيا بحتا. لذلك اقترحت أن يكون الخطاب مع السينما، أي التفاعل مع السينما من داخلها ومن داخل لغتها".

ويتابع "لو اعتبرنا أن الرواية تعبر عن صرخة الألم والواقع السياسي فالسينما هي نوع من التدخل في هذا المشترك الحسي ليكشف النبوية في السينما وجعلها محسوسة. فالسينما جهد جماعي، ونحن نحتاج إلى فرجة جماعية والسينما تبنى على نحن فعل تمر، وأرى أن العلاقة بين السينما والرواية

للسينما فعل إنساني إبداعي يتجاوز ما تعرفه العامة عنه، ففي عمقها رؤية واسعة الطيف لمكون الإنسان، بآلامه وأحلامه ومصائر حياته. وقد كانت عبر تاريخها أداة بيد بعض المبدعين الذين وعوا أهميتها وقدموها بمنظور فلسفي عميق تجل في العديد من الأعمال الخالدة التي حفظها وجدان المشاهدين. حمادي كيروم باحث وناقد سينمائي مغربي من هؤلاء، يرى السينما بمنظور مختلف.

بين العمل الروائي والسينمائي. من حيث الكينونة الأعمق، والتي لا يمكن المقارنة بينهما بسهولة، لأن هناك وسائل مختلفة لكل منهما عن الآخر. ذلك أن الروائي يعتمد على اللغة والكلمة والمعجم بينما السينمائي يعتمد على اللقطة والصورة والسميائية، لذلك ركزت على المحكي الذي يمكن أن يكون مشتركا بين الروائي والسينمائي".

وحاول الناقد الانتقال للادوات التي استعملها الروائي في إبداعه وكيف يمكن للسينما أن تستوعبها وتحولها إلى سينما. مع الحذر في هذا التناول من ضرورة الحفاظ على طبيعة الحالة الأدبية وحالتها الجمالية التي خرجت عليها أصلا من ناحية الفكر والحس وجمال اللغة. فهذه عناصر يجب الحفاظ عليها في التحول نحو السينمائي.

ومن خلال هذه العملية الإبداعية وصل إلى النظرية التي تختص بهذا الموضوع والمسماة بالسينما - توغرافية. ومن هنا وبعد قراءات كثيرة وعميقة استنتج كيروم أنه ليست كل النصوص

أدبية، بل لا بد من توافر معايير ومقاييس محددة حتى تحقق هذه الشرطية. وبالتالي فإن هذه الشروط والمقاييس موجودة في السينما، لذلك سميت بالسينما - توغرافية. فهناك أفلام كثيرة، لكنها تبقى أفلاما فحسب، وما يجعل من الفيلم سينما هو السينما - توغرافية. هو التحول اللغوي للسمع البصري بضوابط معينة لكي يدخل في هذا الفيلم البصري الجديد. هذا الأمر الذي هو مضمون السينما، يوجد في الخطاب والإخراج وغالبا فإن الناس يرون القصة والحدوث لكنهم لا يرون الأمر الذي يكمن خلفها وهي الدلالات والخيالات التي صنعتها الصورة وهي السينما في الحقيقة.

وعن كتابه الشهير الاقتباس بين المحكي الروائي والمحكي الفيلمي يضيف حمادي كيروم "أردت من خلال تأليف هذا الكتاب لفت النظر إلى الطريقة التي نتحدث بها في العالم العربي عن السينما. فبعد زمن طويل قضيته في السينما كتابة ونقدا وأحيانا إخراجا وجدت أن معظم ما يكتب هو عن السينما ويكون خارجيا بحتا. لذلك اقترحت أن يكون الخطاب مع السينما، أي التفاعل مع السينما من داخلها ومن داخل لغتها".

ويتابع "لو اعتبرنا أن الرواية تعبر عن صرخة الألم والواقع السياسي فالسينما هي نوع من التدخل في هذا المشترك الحسي ليكشف النبوية في السينما وجعلها محسوسة. فالسينما جهد جماعي، ونحن نحتاج إلى فرجة جماعية والسينما تبنى على نحن فعل تمر، وأرى أن العلاقة بين السينما والرواية

ويتابع "لو اعتبرنا أن الرواية تعبر عن صرخة الألم والواقع السياسي فالسينما هي نوع من التدخل في هذا المشترك الحسي ليكشف النبوية في السينما وجعلها محسوسة. فالسينما جهد جماعي، ونحن نحتاج إلى فرجة جماعية والسينما تبنى على نحن فعل تمر، وأرى أن العلاقة بين السينما والرواية

ويتابع "لو اعتبرنا أن الرواية تعبر عن صرخة الألم والواقع السياسي فالسينما هي نوع من التدخل في هذا المشترك الحسي ليكشف النبوية في السينما وجعلها محسوسة. فالسينما جهد جماعي، ونحن نحتاج إلى فرجة جماعية والسينما تبنى على نحن فعل تمر، وأرى أن العلاقة بين السينما والرواية

نزال قوشقة
كاتب سوري

ليس كل فيلم هو سينما بالضرورة، ذلك أن للسينما شكلا خاصا يجب أن تتأطر به حتى تكون كذلك، وتتجاوز البعد التسلوي المحض. سابقا تحدث إرنست فيشر عن ضرورة الفن، ويؤكد منظرو علم الجمال والفن السينمائي على أن السينما رؤية واسعة للحياة، وليست مجرد عكس زمن محدد ضمن إطار فيلم لا يحقق شكلانيتها ومضمونها.

هذا ما يتبناه حمادي كيروم الناقد والباحث السينمائي المغربي الذي يراهن على دور السينما ووظيفتها في الحياة، فاستاذ مادة السينما في جامعات الرباط يحاول التأكيد على أن السينما هي الفن الذي سيصنع المستقبل أو الزمن الآتي.

السينما - توغرافية

يرى كيروم أن الإنسان خلق ليحكي ويتفاعل مع محيطه من خلال الحكى، الذي يتشكل في العديد من الأنماط الإبداعية منها الرواية وأيضاً السينما، وعن العلاقة بينهما وكيف يتحول الحكى الروائي إلى حكي فيلمي ألف كتابه الشهير "الاقتباس من المحكي الروائي إلى المحكي الفيلمي" الذي صدر عام 2005 ضمن سلسلة الفن السابع التي تصدرها وزارة الثقافة السورية - المؤسسة العامة للسينما. وفيه بحث عميق لتجربة روائية وسينمائية عربية هامة تمثلت في اقتباس السينما المصرية لرواية الكاتب نجيب محفوظ "بداية ونهاية" إلى السينما التي قدمت من خلال المخرج الكبير صلاح أبو سيف.

نحن الآن منغمسون
بسينما السرعة المعتمدة
على المشاهدة الفردية
والتقنية، في حين أن سينما
تاركوفسكي تراجيدية

يرى حمادي كيروم أنه لا بد من الحكى كعمل بشري يقوم به الإنسان لكي يتطور في حياته الإبداعية وأنه، أي الحكى، يقدم تقاطعا ضروريا في التفاعل ما بين الرواية والسينما، ويقول "الفن جاء مع الإنسان وأهم هذه الفنون هو الحكى، وما قام به الإنسان خلال مسيرته الطويلة هو تطور أسلوبه في الحكى، والإنسان كائن حكا، فعندما يجتمع أحد مع آخر تكون لديه الرغبة في الحكى. فهو يتفاعل مع غيره ومحيطه وربما يحكي الإنسان عن نفسه لنفسه".

ويضيف "اختياري للاقتباس من المحكي الروائي للمحكي الفيلمي كان ضمن إطار محاولة أردت فيها المقارنة